

خر ٤٠: ٣٤-٣٨ وملأ مجد الرب المسكن

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادة الكتاب المقدس
جامعة الروح القدس - الكسليك

مقدمة

يبدأ سفر الخروج بموجز لقصة يوسف التي تُشبه نقطة التقاء بين "قصة الآباء" أو "قصة جدود إسرائيل"، وبين "قصة شعب إسرائيل" (خر ١: ١-٧). ويشكل الخبر القائل: "حينئذ قام ملك لم يعرف يوسف" (خر ١: ٨)، إشارة إلى العبور من مرحلة إلى أخرى في تاريخ إسرائيل. ويصف ختام السفر (خر ٤٠: ٣٤-٣٨) الزمن الذي فيه، وبعد أحداث عدّة، "ملأ مجد الرب المسكن" (דִּבְרֵי־יְהוָה) أو "خيمة اللقاء". إن هذا الزمن هامّ، لأنّ يهوه صار ساكنًا في وسط شعبه (٤٠: ٣٤-٣٥) ليرافقه ويقوده.

١ - روح الرب يملأ الكون

إنّ من يتصفّح أسفار العهد القديم، بدءًا من سفر التكوين، يتبيّن له أنّ موضوع "الملء" هو موضوع حسّاس لأنّه مرتبطٌ بعمل الله في الكون وفي الإنسان، والبرهان هو أنّه، و"في البدء" (تك ١: ١)، عندما "كانت الأرض خاويةً خاليةً" (تك ١: ٢)، راح الربّ الإله يخلق، مألّفًا اليابسة والبحار والأنهار بكلّ صنف من أصناف الحياة، النباتيّة والحيوانيّة والبشريّة. وأوّل أوامر الله لآدم وحواء كان التالي: "إنميا وأكثرًا واملأ الأرض" (تك ١: ٢٨). وأوّل خطايا الإنسان كانت معاكسة هذا الأمر بالمعصية الأولى التي تشكّل إفراغًا للذات ممّا هو لله، الأمر الذي أدّى إلى الإخراج من ملء الله إلى فراغ "الأرض القاحلة التي لا تنبت إلاّ شوكتًا وحسكًا" (تك ٣: ١٨).

١ أنظر "مسكن"، معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٧٣٧-٧٣٩؛ Arthur GREEN, « Shekinah », in *Queste sono le parole*, Firenze, Giuntina, 2002, pp. 61-62.

هذه ستكون حال بني إسرائيل الذين غالبًا ما فشلوا في الحفاظ على هذا الملء والعيش فيه، وهذا ما تعبرُ عنه بشكل قويٍّ وحازم نبوءة أشعيا الذي يركّز على الفراغ الذي يسود في حياة شعب الله، فيرى المدنَ فارغةً لا ساكنَ فيه (أش ٦: ١١؛ رج ١: ٧)، بعدما "كانت مملوءة عدلاً" (أش ١: ٢١ ب)، لأنَّ الأرض امتلأت أوثاناً" (أش ٢: ٨ ب)، والكرم الذي اعتنى به مالكه إلى أقصى حدٍّ لم يعطِ إلا حصرماً بريّاً رديئاً (أش ٥: ٢)، لذلك ترتبط دعوة أشعيا بهذه الرؤيا الاستثنائية التالية: "ورأيتُ مجدَّ الله يملأ الهيكل، وأذياله تملأ الهيكل" (أش ٦: ١).

سيوجز سفر الحكمة موضوع الملء الإلهي بقوله الماثور والمعبرُ بشكل رائع، وهو التالي: "روح الربِّ يملأ الكون" (حك ١: ١٧).

كذلك سيُعبرُ الإنجيليُّ يوحنا بشكل مقتضب ورائع عن موضوع الملء بقوله: "ومن ملئه كلنا أخذنا، ونعمة تلو نعمة" (يو ١: ١٦).

تساعدنا هذه المعطيات البيئية على فهم الدافع الذي جعل كاتب سفر الخروج ينهي مؤلفه ويتوجّه بموضوع الملء، وتحديدًا عندما يقول: "ومجد الربِّ ملأ المسكن" (خر ٤٠: ٣٤ ب). لا بدَّ من التأكيد على أنَّ "مجد الربِّ" وحلوله مرتبطان بالنسبة إلى بني إسرائيل بمكان مقدّس، هو "المسكن". لكن لماذا لم يكن بالإمكان أن يملأ مجد الربِّ مكاناً ما في مصر؟ لماذا لم يكن بالإمكان تأدية العبادة لله في مصر؟ ولماذا طلب موسى من فرعون قائلاً: "أطلق شعبي ليعبديني في البرية" (خر ٥: ١ ب)؟ إذا واکبنا نصوص سفر الخروج نرى أنَّ البلوغ الأهم في مسيرة الشعب منذ الخروج من مصر وحتى الفصل الأخير من السفر، يتحقّق، ليس بدخول أرض الميعاد بحدِّ ذاته، بل ببناء المسكن، ثمَّ بامتلائه من مجد الربِّ.

١ - خر ٤٠: ٣٤-٣٨ ومعطياته اللغوية

قراءة تصويرية:

العناصر: الغمام ≠ النار

الأوقات: الليل ≠ النهار

الأماكن: خيمة الاجتماع - المسكن

الأفعال: غطى ≠ ارتفع؛ سار ≠ توقف؛ دخل ≠ خرج
الفعل الأهم ← ملاً

آ ٣٤ أ الغمام على خيمة الاجتماع ← ملاً مجد الرب المسكن ← موسى لا يدخل
أ - تحرك موسى، دخولاً أو خروجاً، مرتبط:
- بالغمام الذي يغطي أو لا يغطي المسكن
- بالمجد الذي يملأ أم لا المسكن

ب - تحرك بني إسرائيل، سيراً أو توقفاً، مرتبط:
- بارتفاع الغمام عن المسكن
- أو بعدم ارتفاع الغمام عن المسكن

آ ٣٦ أ نهاراً ← الغمام يرتفع عن المسكن ← مواصلة السير
آ ٣٨ أ نهاراً ← الغمام في المسكن ← توقف عن السير
آ ٣٨ أ نهاراً ← الغمام في المسكن
آ ٣٨ ب ليلاً ← النار في السحاب
آ ٤٨ ب النار في الغمام ليلاً

هناك انتقال إذاً:

من العبودية ← من الفراغ
إلى العبادة ← إلى الملء

٢ - موقع النصّ

بشكل عامّ، يميّز البَحَاثَة أقلّه ثلاثة أجزاء في سفر الخروج:

(١) الخروج من مصر (خر ١ : ١ - ١٥ : ٢١)؛

(٢) المسيرة من مصر الى سيناء (١٥ : ٢٢ - ١٨ : ٢٧)؛

(٣) إسرائيل في سيناء: العهد والشرائع (١٩ - ٤٠).

في هذا الجزء الأخير، من المعتاد التمييز بين:

- العهد (خر ١٩ - ٢٤)،

- ونقض العهد ثمّ تجديده (٣٢ - ٣٤)،

- وأخيراً التعليمات حول بناء المعبد وتنفيذها (٢٥ - ٣١؛ ٣٥ - ٤٠).

يقع نصّنا إذاً في القسم الثالث من السفر، حيث ينتهي سفر الخروج بتكريس خيمة اللّقاء وبامتلاء المسكن من مجد الربّ (خر ٤٠ : ٣٤-٣٨). بإمكان هذا النصّ بالذات أن يقدم مفتاح تفسير السفر في شكله القانونيّ.

٣ - الإطار الأدبيّ والتاريخيّ

ماذا يحصل في خر ٤٠ : ٣٤-٣٨؟

يملك يهوه خيمة اللّقاء، أي أنه يأتي ليسكن في وسط شعبه (٤٠ : ٣٥؛ رج ٢٩ : ٤٣-٤٦)². علامات هذا الحضور الكبيرة هي "المجد" و"الغمام".

- يتكلّم على هذا الزمن سفر الملوك الأوّل، حيث يفيدنا عن تسلّم الله هيكله، أي عندما أتى ليسكن في الهيكل الذي كان سليمان قد شيّده للربّ، فيقول:

"وكان، لما خرَج الكهنة من القدس، أنّ الغمام ملاً بيت الربّ، فلم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب الغمام، لأنّ مجد الربّ قد ملاً بيت الربّ. حينئذ قال سليمان: "قال الربّ إنه يسكن في الغيم المظلم، وإني قد بنيت لك بيت بهاء مكاناً لسكنائك"

2 Cf. Anne SOUPA, « Du Dieu qui vient à demeure [Exode 40, 34-38] », *La Vie Spirituelle*, n° 764 (Mai 2006) 200.

للأبد" (١ مل ٨ : ١٠-١٣؛ رج أيضًا ٢ أخ ٥ : ١١ - ٦ : ٢).

- هناك نص آخر ينبغي ربطه بـ خر ٤٠، هو حز ٤٣ : ١-٧ حيث يدخل "مجد يهوه" من جديد في الهيكل، الذي كان قد تركه في حز ١٠ : ١٨-٢٢ :

"وذهب بي الى الباب، الى الباب المتجه نحو الشرق، فإذا بمجد إله إسرائيل قد أتى من جهة الشرق، وصوته كصوت مياه غزيرة، والأرض قد تالأت من مجده. والرؤيا التي رأيتها كانت كالرؤيا التي كنت قد رأيتها حين أتيت لتدمير المدينة، وكالرؤيا التي كنت قد رأيتها عند نهر كبار، فسقطت على وجهي. ودخل مجد الرب الى البيت من الباب المتجه نحو الشرق، فحملني الروح ودخل إلى الدار الداخلية، فإذا بمجد الرب قد ملأ البيت. وسمعت أحداً يكلمني من البيت، وكان رجلاً واقفاً بجانبى، وقال لي: يا ابن الإنسان، هذا مكان عرشي ومكان أخامص قدمي، والذي أسكن فيه في وسط بني إسرائيل للأبد، ولا يُنجس بعد اليوم بيت إسرائيل اسمي القدوس، لا هم ولا ملوكهم، بزناهم ويحشث ملوكهم وأنصاب قبورهم" (حز ٤٣ : ١-٧).

سيعاد بناء الهيكل المهدم على يد البابليين بعد المنفى (عز ٥-٦)، وسيطهر الهيكل الجديد على يد يهوذا المكابي (رج ١ مك ٤ : ٣٦-٦١). بالنسبة إلى جماعة ما بعد المنفى، كان ينبغي أن يكون تكريس الخيمة زمناً مفتاحاً لتاريخ إسرائيل؛ من المحتمل جداً ربط ذلك بإعادة بناء هيكل أورشليم، والمباشرة بإعادة العبادة الطقسية في العصر الفارسي.

٤ - معنى بناء الهيكل

في الشرق الأوسط القديم، تكريس الهيكل هو وقت يؤكد فيه إله ما سيادته. تنتهي روايات الخلق في أغلب الأحيان بتشييد هيكل للإله الخالق؛ فمردوك، مثلاً، يبني معبداً في نهاية نشيد إنوما إيش^٣؛ في أوغاريت هناك نشيد طويل حول تشييد هيكل بعل^٤؛ بالطريقة ذاتها، يؤكد يهوه، الآتي ليسكن في وسط إسرائيل، على

٣ رج بولس الفغالي، "إنوما إيش"، المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدس، بيروت ٢٠٠٣، ص ١٧٧. "إنوما إيش هو خلاصة لاهوتية حقيقية... هو أفضل تعبير عن اللاهوت البابلي، وقد اعتاد الكهنة أن ينشدوه بأبهة في عيد رأس السنة..." (بولس الفغالي، "كتابات بلاد الرافدين").

٤ رج حسني حداد وسليم مجاعص، أناشيد البعل، دار أمواج، آذار ١٩٩٥. إن بناء القصر للبعل هو لتأكيد حكمه الخبز على الآلهة والبشر: "في قلب جبلي المقدس، في جبل ميراثي، في المواطن الجميلة، في هضاب النصر".

سيادته على شعبه إسرائيل؛ فإسرائيل هو شعب يهوه، وليس شعب أي إله غيره أو آية قوة أخرى. يُقابل تكريس الخيمة التأكيد الحازم على الوصية الأولى: "أنا هو يهوه، إلهك، الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية. لا يكن لك إلهة أخرى إلى جانبي" (خر ٢٠: ٢-٣).

يكمل خر ٤٠ رواية الخلق (تك ١):

+ ينتهي تك ١ بتكريس هيكل مقدس (اليوم السابع، السبت)،

+ وفي خر ٤٠ يصبح ليهوه مسكن في وسط العالم المخلوق، لأن إسرائيل:

- قد أصبح الآن شعبه: "وَأَتَّخِذْكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ، الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ سُخْرَاتِ الْمِصْرِيِّينَ" (خر ٦: ٧)،

- ويهوه قد أصبح إلهه: "وَأَسْكُنْ فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ، الَّذِي أَخْرَجْتَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ، أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ" (خر ٢٩: ٤٥-٤٦) ٠٣.

٥ - سيادة يهوه على إسرائيل وعبادته في مسكنه

تعبّر مسألة سيادة يهوه على إسرائيل سفر الخروج كله.

في خر ١-١٥ المعضلة الأساسية هي معرفة من هو سيّد إسرائيل الحقيقي، ومن يتوجّب على إسرائيل أن "يعبد": الفرعون أم يهوه؟ يبدو السؤال بشكل أوضح في رواية الضربات (خر ٧-١١)، كما في رواية عبور البحر (خر ١٤). في هذه الفصول، يكشف يهوه عن سيادته. ضربات مصر وعبور البحر هما برهانان على أنه "هو يهوه"، في حين أنّ فرعون كان قد قال: "لا أعرف يهوه" (خر ٥: ٢)؛ لهذا السبب، إنّ "صيغة التعرّف" هي مألوفة في هذا الجزء من سفر الخروج (أنظر ٧: ٥، ١٧؛ ٨: ٦، ١٨؛ ٩: ١٤، ٢٩؛ ١٠: ٢٠؛ ١١: ٧؛ ١٤: ٤، ١٨): "كفي تعلموا/يعلموا أنّي أنا يهوه"؛ "فيعرف المصريون أنّي أنا يهوه" (יְהוָה מְבַרְרִים בְּיַמֵּי יְהוָה؛ رج ١٤: ١٨؛ أنظر خر ٧: ٥؛ بعد النصر النهائي في خر ١٤، تؤكد الآية الأخيرة من "نشيد موسى" (خر ١٥: ١٨) ما يلي: "يملك يهوه إلى الأبد ودائمًا" יְהוָה יְהוָה בְּעַלְמֵם וָעַד؛ رج مز ١٤٦: ١٠: בְּעַלְמֵם

יְמִלְכֶם יְהוָה). كانت الآية السابقة تتكلم على مستقبل المعبد، الهدف الأخير للخروج: "تقودهم، وتغرسهم في جبل ميراثك، موضع سكنك، ذاك الذي شيدته، يا يهوه، مقدس الرب، الذي حصنته يدك" (خر ١٥ : ١٧). يملك يهوه، يكون ملكا، ويكون مسكنه في وسط شعبه. إن موضوعي السيادة والسكنى هما الآن متحدان في هذه الآيات الأخيرة من "نشيد موسى".

خر ١٥ : ٢١ - ١٨ : ٢٧ : هو عبور يقود إسرائيل من مصر إلى جبل سيناء. يهوه هو الآن "ملك" إسرائيل، لذا سيحل معضلات شعبه: العطش (خر ١٥ : ٢٢-٢٧)، الجوع (١٧ : ١-٧)؛ وهجوم الأعداء (١٧ : ٨-١٦). بالإضافة إلى ذلك، تركز هذه الفصول على الشريعة (١٥ : ٢٥ ب؛ ١٦ : ٤-٥ و ٢٨)، وعلى تنظيم الشعب قانونياً (١٨). العنصر الإنشائي الوحيد الذي يجمع هذه الفصول المركبة هو صيغة المسيرة (١٥ : ٢٢ و ٢٧؛ ١٦ : ١؛ ١٧ : ١؛ رج ١٩ : ١-٢)، التي تتضمن غالباً الأفعال "نَحَرَكَ"، "رَحَلَ"، "انْتَقَلَ" (נָסַע، "نَسَعَ")، "وَصَلَ" (וָסַע، "بُؤَأُ")، (כָּנַע، "حَنَعَ")، وأسماء لأماكن مختلفة، خاصة مكان الانطلاق ومكان الوصول، ليس حصراً إلى أرض الميعاد، بل إلى مكان حلول مجد الرب في مسكنه.

٦ - إسرائيل "أمة مقدسة" و"مملكة كهنوتية" تعبد الرب

النص الأوّل (خر ١٩ : ٣-٨) يحتوي على "برنامج" هذا القسم كله. في هذا الكلام النبوي الذي يفتح النص المتعلق بسيناء، يذكر يهوه بالخروج (١٩ : ٤)، ويقترح على إسرائيل أن يصبح "خاصته" (כָּנַע، "سَجُولُه") بين كل شعوب الأرض، "مملكة كهنوتية" و"أمة مقدسة" (١٩ : ٦). بعد إعلان الوصايا العشر (٢٠ : ١-١٧)، "وشرعة العهد" (٢١ : ٢٢-٢٣ : ١٩)، تختم الطقوس المختلفة في ٢٤ : ١-١١، خاصة العهد في ٢٤ : ٣-٨، العلاقات الجديدة بين يهوه وشعبه. إسرائيل الآن هو خاصة يهوه، "أمة مقدسة" و"مملكة كهنوتية". تكرر إسرائيل طقوس خر ٢٤ : ٣-٨، خاصة الرشّ بالدم. ويكرر الرش المذكور ذاته الكهنة في خر ٢٩ : لا ٨. للرويا وللوليمة في خر ٢٤ : ٩-١٣، كهدف، التصديق على سلطة الكهنة والشيوخ، الممثلين الشرعيين ليهوه في وسط "الأمة المقدسة".

لكن ما زال ينقص "المعبد"، مع مكملاته التي لا غنى عنها، أي الكهنوت والمذبح (رج ٢٩ : ٤٣-٤٦). سيكون هذا موضوع الجزء اللاحق.

خر ٢٤: ١٢ - ٣١: ١٨، خاصة ٢٤: ١٥ - ٣١: ١٧، هي الفصول التي فيها يكشف يهوه لموسى تصميم المعبد الذي ينبغي تشييده: **וַיִּצְוֵנוּ לֵאמֹר מִקְדָּשׁ יִשְׁכְּנֵנוּ בְּחֹרֶם**، ("وَعَسُو لِي مَقْدَشٌ وَشَكُنُوا بِيْتَحْمَ"؛ ٢٥: ٨)، "ويصنعون لي مَقْدَسًا، فأسكن في ما بينهم". سيكون يهوه في الحقيقة "ملك" إسرائيل، عندما يكون له مقدس يسكن فيه وسط شعبه. يحيط بهذا الجزء، على سبيل التضمنين، الذِّكْرُ المزدوج "اللُّوْحَيْنِ الحَجْرَيْنِ" اللذين يحتويان الشريعة (לוּחוֹת הָאֲבָנִים؛ ٢٤: ١٢؛ ١٣: ١٨). سيلعب هذان اللوحان دورًا هامًا في الفصول اللاحقة، لأنهما يحتويان على الشروط الأساسية للعلاقة بين يهوه وشعبه. سيسكن يهوه في وسط شعبه، فقط إذا احترم إسرائيل هذه "الشريعة".

خر ٣٢ - ٣٤: لا يحترم إسرائيل "الشريعة الأساسية" المكتوبة على "الوحي الحجر". تثير حادثة "العجل المذهب" أزمة كبيرة تضع في خطر وجود إسرائيل كشعب ليهوه. يُعتبر "العجل المذهب" إلهاً منافساً (رج خر ٢٠: ٣؛ ٣٢: ٢، ٨). هناك سؤال يسيطر على الفصول ٣٢ - ٣٤: بعد حادثة "العجل المذهب"، هل سيواصل يهوه تصميمه على أن يسكن في وسط شعبه، ويقوده في الصحراء؟ (أنظر ٣٣: ٣، ٥، ١٤). يتشقق موسى، وأخيراً يهوه يتراجع (٣٣: ١٤، ١٧). الإله الذي سيرافق إسرائيل بعد الآن، سيكون إله المغفرة والرحمة (خر ٣٤: ٦-٧).

يُرْمز إلى تجديد العهد (خر ٣٤) عبر إعطاء لُوْحَيْنِ جديدين للشريعة، كان موسى قد كسرهما في خر ٣٢: ١٥-١٦ و١٩. كُتِبَ لُوْحَانِ جديداً في ٣٤: ١ و٢٧-٢٨.

خر ٣٥-٤٠: من الآن وصاعداً، لقد صار ممكناً بناءً مقدس يأتي يهوه ليسكن فيه (٤٠: ٣٥-٣٤). عند هذا الحد، يبين يهوه أنه "ملك إسرائيل"، بعدما أزال القدرة البشرية التي كانت للفرعون، "والآلهة الأخرى" التي يرمز "العجل المذهب" إليها.

٧ - مجد الرب يملأ المسكن (٤٠: ٣٤-٣٨)

في خر ٣٣: ١٨ يطلب موسى من الله أن "يرى مجده"؛ فما هو هذا المجد؟

٥ أنظر "مجد"، قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧١، ص ٨٤٠؛ المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، المكتبة البوليسية وجمعية الكتاب المقدس، بيروت ٢٠٠٣، ص ١١٣٣-١١٣٦.

"مجد الله" هو ملء شخص الله، هو تجلي أو ظهور حضور الله، ظهور قدير ومرئي كنور ساطع. ولكن الإنسان لا يستطيع أن يراه دون أن يموت:
 "قال: "أمرٌ بكلِّ حُسْنِي أَمَامَكَ، وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَامَكَ، وَأَصْفَحْ عَمَّنْ أَصْفَحَ وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ". وقال: "أَمَّا وَجْهِي فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَاهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَانِي الْإِنْسَانُ وَيَحْيَا"" (٣٣ : ١٩ : ٢٠).

نشير إلى أن هناك تماهياً بين "مجد الله" وبين "وجه الله"؛ ففي آ ١٨ يريد موسى أن يرى "المجد"، فيجيبه الله بأنه لن يستطيع أن يرى وجهه (آ ٢٠). لاحقاً سيمرُّ مجد الله أمام موسى (آ ٢٢)، ولكن الله سيغطي عيني موسى ووجهه، فلا يرى وجهه (آ ٢٣). هناك إذاً في آن معاً اليقين من حضور الله - ويختبر موسى ذلك بطريقة فريدة - والتذكير بأن الإنسان لا يستطيع أن يقترب من الله دون مخاطرة لأنَّ الله قدوسٌ ومخوف. لا يستطيع الإنسان أن يرى من الله سوى تداعياتٍ مروره أو نتائجه، وكأني بموسى كان يراه من الخلف (آ ٢٣)، أي أنه لا يرى الوجه. نلاحظ الفرق في النظرة إلى هذا الموضوع من خلال المقارنة مع آ ١١ حيث نرى موسى يتكلّم مع الله وجهًا لوجه.

لنتبين ما يتضمّنه خر ٤٠ : ٣٤-٣٨ في هذا السياق:

(أ) من ناحية الأسلوب الإنشائي، يرتبط الجزء الأخير من هذه الفصول (٤٠ : ٣٤-٣٨) بالجزء الأوّل (٣٥ : ١-٣)، بفضل كلمة "عَمَلٌ" (מְעַלְמֶךָ، "مَلَأَخَهُ") التي تظهر في ٣٥ : ٢ و ٤٠ : ٣٤. هناك في الحالتين تلميح إلى تك ١ : ٢-٤، خاصّة إلى تك ١ : ٢-٣. يتكلّم خر ٣٥ : ١-٣ على الأسبوع، وراحة اليوم السابع (رج تك ٢ : ١-٣)، ويقول خر ٤٠ : ٣٤ إنَّ موسى أنهى عمله^٦، تمامًا كما سبق وفعل الله في تك ٢ : ٢:

- تك ٢ : ٢ : "وانتهى الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله"؛

6 Frank MICHAELI, *Le livre de l'Exode. Commentaire de l'Ancien Testament*, Delachaux et Niestlé, Paris 1974, p. 302.

– خر ٤٠ : ٣٤: "وأنتهى موسى العمل".

(ب) هناك عنصران أساسيان في هذا الفصل الأخير:

– يسكن يهوه وسط شعبه (٤٠ : ٣٤-٣٥)، وينبغي تنظيم الشعب وفق الحضور الإلهي. سيكون هذا هدف سفر اللاويين.

– من الخيمة يقود يهوه شعبه (خر ٤٠ : ٣٧-٣٨). سيصف سفر العدد سير ترحال إسرائيل تحت قيادة يهوه الحاضر في الغمام.

(ج) ينبغي إضافة ملاحظة أخيرة في ما يتعلّق بهذه الفصول. يصف مستهلّ سفر الخروج "عبودية" إسرائيل في مصر (خر ١). في آخر السفر، "يعبد" إسرائيل يهوه، لكنّ "عبادة يهوه" ليست "عبودية" أخرى. تعني "الليتورجيا" في العبرية، الكلمة ذاتها، לַבְּיָהוָה ("عِبُودَةٌ")، "عبودية"، بمعنى الـ"عمل" أو الـ"ليتورجيا"، أي تأدية "خدمة" عفوية وحرّة، وليس "أشغالاً شاقّة". في خر ٣٥ : ٤-٢٩ يعمل الناس "عن طيبة خاطر" (כָּל־לֵבָבְךָ לַיהוָה، "كُلُّ نَدِيبٍ لِيَهُوָه")، أي "كُلُّ قلب هو مستعدّ جيّدًا" (٣٥ : ٢٢)؛ "كُلُّ مَنْ سخا قلبه" / "كُلُّ مَنْ دفعه قلبه، وكلّ مَنْ سخت نفسه" (٣٥ : ٢١). بالإضافة إلى ذلك، تميّز راحة السبت (خر ٣٥ : ١-٣) بين "العمل الحرّ" وبين "العبودية". سيصف سفر اللاويين هو أيضًا "العبادة الحرّة" التي يؤدّيها شعب إسرائيل ليهوه إلهه في مسكنه المقدّس بحلول مجده فيه.

٨ – المقاربة بين "الغمام" و"المجد"

"غمام الربّ" هو العلامة المرئية للحضور الإلهي الخاصّ في وسط شعبه، داخل خيمة اللقاء، التي تشكل تسيقًا للهيكل الذي سيبنه لاحقًا سليمان الملك في المدينة المقدّسة أورشليم. يحلو للتقاليد المرتبطة بسفر الخروج أن تُبرز قيادة الربّ لشعبه بواسطة صورة الغمام، وهذا ما نجد امتدادًا له في مز ٧٨ : ١٤: "قادهم بغمام نهارًا، وبعمود من نار ليلاً"؛ وفي مز ١٠٥ : ٣٩: "ومدّ غمامةً لكي يحميهم، ونارًا لينيرهم ليلاً".

في نهاية سفر الخروج يُدرج الكاتب ظهورَ حضورِ الله أو تجليّه، حضورِ يرمزُ إليه غمامٌ يغطي في آن معاً المجد، أي لهب الألوهة، ويشير إليها. المجد، وهو الحقيقة الإلهية ذاتها التي تستوي أو تستقرُّ في المسكن المقدس الذي يغمره هذا المجد. يُسدل الستارُ على سفر الخروج بهذا المشهد ذي الإيحاء الكبير: الشعب هو في مسيرة في الصحراء، ولكن إلى جانبه يرتحل الربُّ أيضاً. علامة حضوره هي الغمامة التي تلفُّ المقدسَ المتقل، وهي النارُ التي، خلال الليل، تتألق. بهذه الطريقة يتمُّ التعبيرُ عن حضورِ الله المحرر، والذي يقود شعبه في سيره نحو الحرّية.

يُختتم هكذا سفرُ الخروج، الذي اكتشفنا من خلال صفحاته وجهًا لله مشرقًا نورانيًا وغامضًا:

– فهو المحررُ الذي انتشل إسرائيل، "ابنه البكر" (خر ٤ : ٢٢) من ظلمة القهر؛

– وهو الذي كوّن كشعِبٍ مقدسٍ "خاصته"، و"ميراثه"، متعاهدًا معهم بميثاقٍ علنيٍّ كرّسه في سيناء؛

– هو الله الأبُّ الذي يعتني بالابن العطشان، والجائع، والذي يحاصره الأعداء؛

– هو الله العادل الذي يتطلّب أن يكون هناك بالمقابل التزامٌ خلقيّ عبر الوصايا العشر، والتزامٌ اجتماعيٌّ من خلال شرعة العهد؛

– هو الله الذي يعاقب على خطيئة عبادة الأصنام التي سقط فيها إسرائيل، وعلى معاصيه و"تدمراته" كلها؛

– لكنّه أيضًا الله "المملوء شفقةً ورحمةً، البطيء الغضب، والغني بالنعمة والأمانة" (خر ٣٤ : ٦)؛

– هو الله القدّوس والطاهرُ والنقيُّ الذي ينبغي أن يتمّ لقاءه في فسحة المعبد المقدّسة؛

– ولكنّه أيضًا الله الذي يسيرُ إلى جانب شعبه على مدى مسارات الصحراء المشمسة اللهبية.

٩ - شعب الله والحضور الإلهي

سفر الخروج ليس إذاً نصّاً لمذكرات احتفالية لأحداث قديمة، بل هو، على عكس ذلك، نداءً موجّه إلى شعب الله في كلّ الأزمنة لكي يشعروا بالحضور الإلهي الذي يقوده نحو الحرّية، كي يحتفل في الفصح بالربّ المحرّر، والمخلص، والموحي. في الواقع، يؤكّد مقال راينيه حول الفصح أنّ "كلّ جيل ينبغي أن يعتبر ذاته وكأنّه هو خروج من مصر" (فَسْحِيم، ١٠: ٥).^٧ لأجل ذلك، في الصلاة، وفي المذكرات التاريخية، وفي أقوال الأنبياء، وفي الاعترافات الإيمانية، سيحتفل الكتاب المقدّس بالربّ على أنّه المحرّر، "الذي أخرجنا من مصر"، والذي "ملاً مجده المسكن".

أية رواية تسمح بجمع "الغمام" و"المجد"، إلى حدّ أنّ "المجد" يستطيع أن يظهر في "الغمام" (رج خر ١٦: ١٠)؟ يبدو أنّ خر ١٤ يوفر الحلّ أو الجواب الأفضل؛ فلقد "تمجّد الله على حساب فرعون ومركباته وخيله" (خر ١٤: ١٧-١٨) بتدخله من أعلى الغمام (١٤: ٢٤). هو إذاً إله "الغمام" من أظهر "مجده"، من خلال وضع الجيش العدو في حالة فرار. لا يرد ذكر الغمام في الرواية، قبل خر ١٦، إلا في خر ١٣: ٢١-٢٢، ٢٤؛ وعلى أساس ١٤: ١٧-٢٤ استطاع الكاتب أن يقارب بين "الغمام" و"المجد". أضف إلى ذلك أنّ "المجد" يوصف وكأنّه "نار" (١٧: ٢٤)، مثل "الغمام" (١٧: ٢٤؛ ١٣: ٢١-٢٢؛ ١٤: ٢٤).

المرحلة الثانية التي ترى "الغمام" و"المجد" يمتلكان الخيمة أو يتوليانها، تبدأ في خر ٢٩: ٣٤، عندما يعلن الله أنّه سيكرّس بمجده مكان لقاءه مع إسرائيل. في الواقع، المقصود أولاً هو "خيمة اللقاء" (בְּיָמֵינוּ)؛ خر ٢٩: ٤٤). يخبر عن تنفيذ هذه الخيمة خر ٤٠: ٣٤-٣٥: "وغطّي الغمام خيمة اللقاء، وملاً مجدّ يهوه المسكن (בְּיָמֵינוּ)" (٤٠: ٣٤). واضح جدّاً: الغمام يغطّي الخيمة، والمجد يملأ داخل المسكن. إنّ الله الذي يسكن في وسط الشعب هو الذي أخرج من مصر (٢٩: ٤٥-٤٦)، وهذا الإله بالذات هو الذي يتوجّب على إسرائيل أن يكرمه.

ستواصل أسفار التوراة الكلام على الغمام وفق وجهة نظر كلّ منها. بالإمكان أن نتبيّن ميلاً إلى التقريب بين الغمام والمجد والخيمة.

الموقع المركزي الذي يأخذه الغمام أثناء عبور البحر سيخلّده ترتيب مخيم إسرائيل

^٧ إميل عقيقي (مترجم)، الفصح اليهودي - فسحيم، سلسلة الأدب الرأبيني ٣، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ٢٠١٢، ص ٥٠.

في الصحراء. ستوجد خيمة اللقاء في وسطه (رج عد ٢ : ١-٣٤ ؛ ١٠ : ١١-٢٨ ؛ رج خاصة ٢ : ٢، ١٧).

في روايتي سفري اللاويين والعدد تظهر هنا وهناك الوجوه المختلفة لموضوع الغمام.

بالنسبة إلى النص الكهنوتي اليوناني (P⁸)، يتجلى المجد دومًا إنطلاقًا من خيمة اللقاء (رج لا ٩ : ٢٣ ؛ عد ١٤ : ١ ؛ ٢٠ : ٦)، ويبلغ إرادة الله إلى شعبه من هناك. عندما تقصد النصوص بالأحرى دور الدليل والمرشد الذي يقوم به الله، هو الغمام من يظهر من خيمة اللقاء (عد ٩ : ١٥-١٨ ؛ ١٠ : ١٢). تصبح هذه الخيمة إذاً مركز التجليات أو الظهورات الإلهية:

— ظهور المجد، عندما يتكلم الله؛

— ظهور الغمام عندما يشير على شعبه بأن يمشي أو بأن يتوقف.

نقرأ في خر ٤٠ : ٣٣ ما يلي: "وأكمل موسى العمل؛" هذا ما يعتبره بعض النقلة وكأنه بداية آ ٣٤: "وعندما أنجز موسى العمل". وإذ أنجز كل ما هو من عمل الإنسان، حان الآن وقت تجلي الله في هذا المعبد، وهو الله من كان قد أمر بتشييده أو بإقامته.

تعبّر الآيتان الأوليان (٤٠ : ٣٤-٣٥) وبشكل مزدوج أو ثنائي عن حضور الله:

— يغطي الغمام خيمة اللقاء،

— ويملاً مجد الله المسكن.

يرد هذا التعبيران مرتين، مكرّرين بشكلٍ حرفي تقريبًا في آ ٣٤ و ٣٥.

"الغمام" و"المجد" هما عنصران مرتبطان بالظهور الإلهي، ويُفيدان عن حضور الله، لكن دون أن يكون الله ذاته مرئيًا. إذا كان "الغمام" هو بنوع خاص علامة حضور الله في الصحراء، فإن "المجد" يشير بالأحرى إلى هذا الحضور في الهيكل، كما يعبر عن ذلك نصّ مشابه في ما يتعلق بمجد الله، الذي يملأ هيكل سليمان (١ مل ٨ : ١٠ ي). ولكننا نجد في خلقية هاتين الحقيقتين المفهومين اللاهوتيين التاليين:

– مفهوم مجيء الله ولقائه مع موسى ليعرفه إرادته،
– ومفهوم حضور الله الدائم في المعبد، الأمر الذي يحول دون دخول موسى إليه.

– "الغمام" هو علامة مجيء الله الذي لا يمكن موسى أن يستشيرَه في خيمة اللقاء؛
– "المجد" هو علامة حضور الله في المسكن، إلى حيث لا يمكن موسى أن يدخل.

هذان اللاهوتان، اللذان يبدوان غير متوافقين أو متعارضين أو متنافيين، هما هنا مجموعان في خلاصة أو في توليف (synthèse) يطبع في الواقع الانتقال من مفهوم مسكن منقول في الصحراء، إلى مفهوم هيكل مشيد بشكل نهائي في وسط الشعب. قد لا تستبعد فكرتا اللقاء والمسكن الواحدة الأخرى بالتمام أو بالكلية. يعطي راشي التفسير التالي:

"طالما الغمام كان هناك، لم يكن باستطاعة موسى ان يدخل؛
وعندما كان الغمام يرتفع، كان موسى يدخل ويتكلم معه".

إنَّ سرَّ حضور الله، الذي لا يستطيع الإنسان أن يقترب منه، ولكن الذي يستطيع، بالمقابل، أن يلتقيه ليتلقى منه كلمته، يتم التعبير عنه هكذا في نوع من الديالكتيَّة بين "الغمام" و"المجد".

إذا كانت الآيات الثلاث الأخيرة من سفر الخروج (٤٠: ٣٦-٣٨) تختم السفر، فإنها في الوقت عينه بمثابة انفتاح باتجاه المستقبل، لأن المعنى والمقصود بهذا هو مسيرة الشعب في الصحراء، والمحطات التي سيجتازها. كان الغمام علامة حضور الله، ولكن أيضًا علامة ارتحال الشعب عندما كان هذا الغمام يغادر المسكن. تذكر هذه الآيات بما قيل عند الخروج من مصر (١٣: ٢١)، عندما كان الشعب يسير، والغمام يقوده. ولكن هذه الآيات ترتبط أيضًا بما سنجدُه لاحقًا في سفر العدد (٩: ١٥-٢٣)، عندما كان الشعب يسير أو يتوقف، وفق ما كان الغمام يرتفع أو يتوقف فوق المعبد.

هكذا يجمع الفصل ٤٠، بأجزائه الثلاثة (آ ١٦-١٧؛ آ ١٧؛ آ ١٧) هي صلة وصل بين الجزئين الأول والثاني؛ آ ١٨-٣٣؛ آ ٣٤-٣٨)، وهو مفتوح على التاريخ الذي

يلي، ما عبرت عنه الفصول السابقة بشكلٍ توليفيٍّ (synthétique):

- مفهوم خيمة اللقاء، ومفهوم مسكن الله؛
- أوليّة هارون والكهنوت، وأوليّة موسى رجل الله الذي نفذ أوامره كلّها؛
- ظهور الغمام، وظهور المجد؛
- السير في الصحراء، ومنظور إقامة ثابتة ودائمة حول المعبد، حيث ستجري مراسم العبادة وفق التوصيات المعطاة للكهنوت.

بعد تحرير أولئك الذين كانوا عبيداً في مصر على يد الله المخلص، الذي كان يريد أن يجعل منهم شعبه، وبعد التشريع الذي أُعطي لهذا الشعب من لدن الله الذي يتكلّم ويقود، ينتهي سفر الخروج بحضور الله في وسط شعبه حضوراً دائماً، ويتجلى عبر مجده. يقول فون راد في هذا السياق: "إنّ جديد العصر الذي يلي سيناء هو كشف "مجد يهوه" (כבוד יהוה)، الذي فيه يأتي يهوه ويضع ذاته في متناول يد إسرائيل؛ فَمَعَ التجليّ الأوّل العلنيّ لمجد يهوه على خيمة الاجتماع (خر ٤٠ : ٣٤ ي)، تحقّق الوعد القديم المعطى للأبائ الأوائل، والذي وفقه يريد يهوه أن يكون إله إسرائيل (تك ١٧ : ٧)".^٨

خاتمة

"إنّ الفصول ١٩ حتّى ٤٠ من سفر الخروج، وهي الأكثر أهميّة، ترسم مساراً يوؤول إلى نشوء أمة. يمكن لهذه الحقبة أن تُختصر بالعبارة التالية: الله الذي يظهر بداية على جبل سيناء (خر ١٩) يأتي في النهاية ليسكن في خيمة الموعد (خر ٤٠). عملياً، إنّ الله الذي حرّر إسرائيل وأعلن الشريعة أتى "ليملك" سيّداً وسط شعبه، ويقوده عبر الصحراء إلى أرض الميعاد. علاوة على ذلك، أصبح الشعب الذي كان تحت العبوديّة "أمة مقدّسة" و"شعباً كهنوتياً" (خر ١٩ : ٦)".^٩

إلى جانب فكرة "المملكة الكهنوتية"، تصف فكرة "الأمة المقدّسة" (خر ١٩ : ٦)

8 Gerhard von RAD, *Théologie de l'Ancien Testament*, t. I, *Théologie des traditions historiques d'Israël*, Genève, Labor & Fides, 1963, p. 212.

٩ جان لوي سكا، "من سيناء إلى خيمة الموعد" (المؤتمر البيبلي الرابع عشر: سفر الخروج، ٢٠١٥)، ص ١.

حالة إسرائيل الذي سيدخل العهد مع إلهه؛ فإسرائيل "أمة" تستمد هويتها من عهد مع إلهها (خر ١٩ : ٥). لقد وعد الله شعبه بجعله "مملكة كهنوتية" و"أمة مقدسة"، إذا سمع صوته وحفظ العهد. إن هذين التعبيرين هامان جداً لأنهما يبرزان بجلاء موقع إسرائيل ومكانته بين جميع الأمم (رج خر ١٩ : ٥).

لقد نصّب الشعب خيمة الموعد، وصنع كل أدوات العبادة (خر ٣٥-٣٩)، وأضحى كل شيء معداً، إذك حلّ "مجد الرب" في خيمة الموعد، والغمام، الذي هو رمز آخر للحلول الإلهي، ملأ المسكن (خر ٤٠). لقد صار لله "مسكن" وسط شعبه، وملك الله سيّداً بلا منازع.

لم يبيغ مؤلفو فصول خر ٢٥ - ٣١؛ ٣٣ - ٤٠ عرض أفكار معمّقة حول حضور الله، بل تقديم سلسلة إرشادات عمليّة في تنظيم العبادة. تبيّن هذه الفصول كيف يأتي إله الخروج وإله سيناء ليسكن وسط شعبه.

لقد قاد اختبار السبي الإسرائيلي إلى مراجعة هذه الفكرة، إذ بات الشعب، من الآن فصاعداً، شعباً يسير حاجباً نحو هدف بعيد. هل سيصبح الله حاضراً فقط عندما يستردّ الشعب أرضه، ويستعيد ملكه واستقلاله؟ لا أبداً؛ فاستناداً إلى فكر إرميا وحزقيال، بشكل خاص، يؤكد مؤلفو هذه الفصول أنّ الله يسكن خيمة في الصحراء لا هيكلًا قائماً وسط مملكة. يتكيف إله إسرائيل إذا مع ما هو عابر ومؤقت، ولا يزدري التعرّض للمشقّات التي تلازم الترحال. الله ليس فقط في نهاية الترحال، أي في أرض الميعاد، إنّهُ ضمن الترحال لأنّه يأتي ليسكن وسط شعبه أثناء الترحال. لقد بات مكان حضور الله الترحال نفسه.

الغاية من تفاصيل هذه الفصول (خر ٢٥ - ٣١؛ ٣٣ - ٤٠)، المملّة أحياناً، هي إبراز تبعات هذه "الثورة اللاهوتية": يأتي مجد الرب إله إسرائيل ليسكن وسط شعب في مسيرة، والله الأزلي يأتي ليحلّ في الزمن وفي التاريخ (خر ٤٠ : ٣٤-٣٥، ٣٦-٣٨). لقد بات لزاماً على الشعب أن يهيء "مسكناً" لائقاً بالله، وأن يتنظّم وفقاً لهذا "الحضور" القريب جداً. نعم، "الكلمة صار جسداً، وسكن بيننا ورأينا مجده" (يو ١ : ١٤).

مراجع

- حدّاد حسني ومجاصص سليم، أناشيد البعل، دار أمواج، ١٩٩٥.
- سكّا جان لوي، "من سيناء إلى خيمة الموعد"، سفر الخروج، المؤتمر البيبلي الرابع عشر للرابطة الكتابية في الشرق الأوسط، جامعة سيّدة اللوزة، لبنان ٢٠١٥.
- عقيقي إميل (مترجم)، الفصح اليهودي - فسحيم، سلسلة الأدب الرّائبي ٣، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ٢٠١٢.
- الفعالي بولس، المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم، المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدّس، بيروت ٢٠٠٣.
- قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧١.
- معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.
- GREEN Arthur, « Shekhinah », in *Queste sono le parole*, Firenze, Giuntina, 2002.
- Frank MICHAELI, *Le livre de l'Exode. Commentaire de l'Ancien Testament*, Delachaux et Niestlé, Paris 1974.
- SOUPA Anne, « Du Dieu qui vient à demeure [Exode 40, 34-38] », *La Vie Spirituelle* n° 764 (Mai 2006).
- von RAD Gerhard, *Théologie de l'Ancien Testament*, t. I, *Théologie des traditions historiques d'Israël*, Genève, Labor & Fides, 1963.